اسم المصدر : الشرق الاوسط-طبعة القاهرة

التاريخ: 03-02-2007 رقم العدد: 10294 رقم الصفحة: 15 مسلسل: 85 رقم القصاصة: 1

الدور السعودي.. في (موقعه الطبيعي والطليعي)

يمكن ان يعتكر الظلام ويحتلك، ولكن يستحيل (دوام الظلمة) فهذه الديمومة مناقضة للسنن الكونية. فما من سواد ليل مطبق إلا اعقبه ضوء النهار. كما ان هذا الدوام نقيض للمبشرات الدينية. ففي القرآن: «فإن مع العسر يسرا».. وفي السنة: «لا يغلب عسر يسرين».

ولقد لف الساحة الفلسطينية ظلام مفزع ظلام الاحتلال وظلمه. وظلام الحصار والتجويع والإذلال. وظلام الاقتتال الفلسطيني وما فيه من ظلم للنفس ولذوي القربى وللقضية كلها.

شق هذه الظلمة: ضوء سعودي نرجو ان يجد (اجهزة الاستقبال) الصافية التي تعين على انتشاره وسطوعه. فالقاعدة الصلبة تقول: «لا يمكن ان تؤدي أي قوة أو أي طاقة عملها ووظيفتها إلا إذا وجدت جهازا قابلا».

والضوء الذي انبثق هو النداء الصدوق الذي جهر به الملك عبد الله بن عبد العزيز مخاطبا الفلسطينيين: أن كفوا عن الصراع والاقتتال الدامي وتعالوا الى مكة، في لقاء جامع يخرجكم من ظلمات القتل والاقتتال والشقاق الى نور (السلام البيني) والى الوحدة على ما ينبغي ان يتحد عليه العقلاء واهل الضمائر الحية الحريصون على تحرير ارضهم، واستقلال قرارهم، والتعاون الشريف المشترك على ابرام مصائرهم. وصناعة مستقبل واعد لابنائهم وذراريهم..

قال الملك: «ان المملكة العربية السعودية حكومة وشعبا لا تقبل ان تقف صامتة متفرجة تنتظر بحزن وألم عميقين لما يدور على الساحة الفلسطينية من اقتتال بين الاشقاء اصحاب القضية الواحدة دون ان تتصدى لدورها الاسلامي والعروبي والاخلاقي تجاه أمانة الكلمة والفعل. وإننا في المملكة العربية التزاما بديننا وعروبتنا وقيمنا واخلاقنا ليدمي قلوبنا ما يحدث في ارضنا الفلسطينية الشقيقة، فلسطين الاقصى وارض الاسراء واولى القبلتين، فلسطين ثالث مسجد تشد إليه الرحال، فلسطين العروبة والتاريخ والتضحية ضد الاحتلال. ارض الاباء والكرامة والعزة. يدمي قلوبنا ما يحدث من أفعال استهدف فيها الاخ أخاه فأريقت الدماء، وأزهقت فيها الأرواح المعصومة فكان القتل الذي قال عنه الباري جل وعلا: «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما». إن هذا الجرم العظيم بكل أسبابه الواهنة جاء ليلطخ كفاحنا الفلسطيني الوطني المشرف الذي قضى في ساحته النبيلة من أبناء شعبنا الفلسطيني آلاف الشهداء في سبيل الله لتحرير وطن الإسلام والعروبة والكرامة لتحقيق الحرية والاستقلال. ان ما يحدث لا يخدم إلا أعداء الأمة الاسلامية والعربية.. ألم يستمع من حمل السلاح وقتل أخاه لقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» وقوله: «من حمل علينا السلاح فليس منا».. نعم. ليس منا من حمل السلاح وأطلقه ليردي أخاه في الدين والعروبة والمصير الواحد. وليس منا من لم يغلب العقل على حكم الغاب.. من هذا المنطلق: وانصياعا لقول الحق تبارك وتعالى: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» وقوله جل جلاله: «انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون».. وإيمانا من المملكة العربية السعودية شعبا وحكومة بأن دورها تجاه القضية الفلسطينية ليس دورا هامشيا يكتفي بالصمت، بل هو دور تاريخي وشراكة في المصير منذ تأسيس الدولة السعودية وموقف موحدها الملك عبد العزيز يرحمه الله تجاه قضيتنا العربية الفلسطينية الذي لم يهادن فيه أو يتخاذل عنه. فإننا اليوم وبعد التوكل على الله جل جلاله، وبأمل ورغبة وحرص أدعو أشقائي من الشعب الفلسطيني الشقيق ممثلين في قادته إلى وضع حد فوري لهذه المأساة والتزام الحق، وادعوهم جميعا لا فرق بين طرف وآخر إلى لقاء عاجل في وطنهم الشقيق المملكة العربية السعودية، وفي رحاب بيت الله الحرام لبحث أمور الخلاف بينهم بكل حيادية دون تدخل من أي طرف آخر لنحقق لأمتنا العربية الإسلامية أحقيتها في قضيتها، ولنصل إلى حل يرضي الله سبحانه وتعالى ويحقق آمال وتطلعات الشعب الفلسطيني الشقيق والشعوب الاسلامية والعربية وكل حر أزر القضية ودعمها.. اللهم إني قد بلغت.. اللهم فاشهد».

آثرنا إيراد معظم النداء لابراز قيمتين كبيرتين نادرتين: قيمة (اللغة) الواضحة الصريحة المباشرة، في زمن شقيت فيه الأمة باللغات الغامضة الملتوية المنافقة.. وقيمة (المضامين) الحية المفعمة بدلالات: الاخوة الإسلامية، والمروءة العربية، ونبل الحس الإنساني، ودقة الشعور بالمسؤولية، في زمان تاكلت فيه هذه المفاهيم والدلالات، وساد نقيضها.

نعم.. بصراحة العربي ومروءته.. وصدق الالتزام الإسلامي.. وشرف حرية القرار واستقلاله: صدع الملك عبد الله بن عبد العزيز وصرح بهذا النداء (الوثيقة): تاريخيا وسياسيا وأخلاقيا.. ولهذا الوصف والتحليل أسانيده الموضوعية:

أولا: ان هذا النداء (امتداد) لأكثر المواقف العربية أصالة وتفاعلا وأمانة تجاه القضية الفلسطينية، وهو موقف الملك عبد العزيز آل سعود. وهو موقف يتعذر استعراضه كله الآن لضخامة حجمه، وطول مداه، وكثرة وثائقه. ولذا اضطررنا لتقديم (نماذج) ـ فحسب ـ ومن هذه النماذج: ان الملك عبد العزيز كان يطالب الحكومة البريطانية بالغاء معاهدة 1915 التي فرضت على نجد. وانتهزت بريطانيا حرص الملك على الغاء المعاهدة لكي تطلب منه مقابل ذلك: ان يعترف لها بـ (مركز خاص) في فلسطين، فرفض الملك عبد العزيز ـ بحسم ـ هذا الافتئات الانجليزي على حقوق الفلسطينيين. وقد توقفت المفاوضات حتى تنازلت بريطانيا عن هذا المطلب.. وفي عام 1936 اندلعت المقاومة في فلسطين، فسارع الملك الى تقديم العون للفلسطينيين وكلف وزارتي الخارجية والمالية: ارسال الارزاق والمؤن إليهم، كما كلفهما: تهيئة السبل أمام الشعب السعودي للقيام بواجبه تجاه اخوانه الفلسطينيين.. وحين اخلت الحكومة البريطانية بالتزاماتها عام 1938، لقي الملك المفوض البريطاني، وابدى استياءه من الموقف البريطاني، وقال له: «ان الذي اخبرك به بصراحة هو ان حكومة بريطانيا لم تقدر موقفي، وانني على كل حال وفي لديني وعربيتي قبل كل شيء. والمحافظة على شرفي وعلى ديني وعربيتي تقضي علي بالكثير».. وفي مذكرته الى الحكومة البريطانية عام 1937 قال الملك عبد العزيز: «.. ان الحكومة البريطانية كانت تقف في اكثر الاحيان موقفا سلبيا من حيث عدم رغبتها في التقيد بسياسة معينة ثابتة تسار عليها في المستقبل.. ولا يخفى ان هناك اسبابا جوهرية جدا تحملنا على الاهتمام بقضية فلسطين.. وتلك الاسباب هي:

1 ـ ان وعود بريطانيا للعرب بالاستقلال اعطيت في الاساس باسم الحجاز الذي هو الآن قسم مهم في مملكتنا.

2 ـ ان عدم حل قضية فلسطين على وجه مقبول، قد يؤدي إلى ايجاد هوة سحيقة وبرزخ لا يمكن اجتيازه بين العرب وبريطانيا.

3 ـ ان قضية فلسطين قضية عربية إسلامية، ولا يمكن لأي بلاد عربية او اسلامية، او لاي حاكم عربي مسلم ان يغفلها او يهملها من دون ان يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة.

4 ـ وأخيرا المسؤولية الادبية العظمى التي اخذناها على عاتقنا».. وكان الملك يتحرك كذلك ـ على الجبهة الامريكية ـ في الوقت نفسه ـ لنصرة القضية الفلسطينية.. خاطب ابن سعود

هو دور مثقل بالمسؤوليات الجسام إذ هو دور يواجه (إيرادات) شريرة معروفة بيد أن للكبار أدوارا تليق بقاماتهم مهما كان التحدي

اسم المصدر : الشرق الاوسط-طبعة القاهرة

التاريخ: 03-02-2007 رقم العدد: 10294 رقم الصفحة: 15 مسلسل: 85 رقم القصاصة: 2

زين العابدين الركابي

الرئيس الامريكي روزفلت عام 1938، فقال له ـ بوضوح شديد ـ: على سبيل المثال «لقد ظهر لنا من البيان الذي نشر عن موقف امريكا: ان قضية فلسطين قد نظر اليها من وجهة نظر واحدة هي وجهة النظر الصهيونية، واهملت وجهات نظر العرب.. في حين ان هذا ظلم فادح وجه الى شعب آمن مستوطن في بلاده، كان ولا يزال يثق بعدالة الرأي العام الديمقراطي، في العالم عامة وفي امريكا خاصة.. إنّا نهيب بفخامتكم، ونناشدكم باسم العدل والحرية ونصرة الشعوب الضعيفة التي اشتهرت بها الامة الامريكية النبيلة ان تكونوا نصراء للشعب الآمن المطمئن الهادئ المعتدى عليه.. ان عرب فلسطين، ومن ورائهم سائر العرب، وسائر العالم الاسلامي يطالبون بحقهم ويدافعون عن بلادهم. ومن المستحيل اقرار السلام في فلسطين اذا لم ينل العرب حقوقهم.

ما هذا الوضوح والصدق والعروبية والاسلامية والانسانية؟. كأن الملك عبد العزيز (متفرغ) للقضية الفلسطينية (تخصص) فيها وحدها: ولئن كنا نُجِلّ هذا الموقف اليوم (وبيننا وبينه سبعون سنة تقريبا) فان المثقفين النابهين المعاصرين له قد عرفوا ـ مبكرا ـ القيمة السياسية والفكرية لهذا (الدفاع العزيزي) عن القضية الفلسطينية. فقد كتب خليل ثابت رئيس تحرير (المقطم) ـ مثلا ـ يعلق على رسالة الملك لروزفلت ويقول: «سيظل الكتاب الملكي الذي ارسله الملك عبد العزيز الى المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة، صفحة مجيدة في سفر تاريخ النهضة العربية في هذا العصر، ويبقى دليلا على سمو مستوى التفكير السياسي في اقطار الشرق. فلقد أجاد الى اقصى حدود الاجادة وصف قضية فلسطين، على نور المبادئ السامية التي تزعم حضارة الغرب انها تدافع عنها باسم المدنية».

نعم.. نعم.. كان نداء الملك عبد الله وموقفه (امتدادا) لمواقف الملك عبد العزيز. فالسعودية ـ من ثم ـ لا تقف مواقف (لا تشبهها): لا في المبادئ، ولا في التاريخ، ولا في الاخلاق.

ثانيا: انبثق النداء من ادراك سديد لـ (المخاطر) التي تحيق بالقضية الفلسطينية والأمة العربية الاسلامية.. مخاطر (تفجير المجتمعات العربية والاسلامية) من داخلها: تحت هذا الشعار او ذاك، في هذه الصورة او تلك. ومن صور التفجير هذه: الاقتتال الفلسطيني الذي سينتهي ـ إذا استمر ـ الى (دفن) القضية الفلسطينية على يد ابنائها، وبدون عزاء من أحد!.. لقد قال شارانسكي: الصهيوني السوفيتي المنشق: «ان الوطن العربي يشبه الاتحاد السوفيتي ـ سابقا ـ في ايديولوجيته وأوضاعه العامة. وان الاستراتيجية المبدعة المجدية للتعامل مع العالم العربي هي ذات الاستراتيجية التي قوضت الاتحاد السوفيتي وفتته مع تحوير اخراجي تقتضيه الظروف». ومن أولويات نظرية التفجير والتفتيت هذه: تطبيقها على الشأن الفلسطيني بداهة: وبشدة وقسوة وحدة.

ثالثا: النداء دعوة لـ «العقلانية الرشيدة» في زمن الحمق والجنون. فمن مقتضى هذه العقلانية أن يسأل الفلسطينيون أجمعون أنفسهم هذا السؤال: علام نختلف؟.. علام نقتتل اذا كان (موضوع الاختلاف والاقتتال) غير موجود، وهو الأرض المحررة والدولة وسائر المقومات التي لا يعقل اختلاف في غيبتها؟.. هل يختلف العقلاء على (حلب) البقرة قبل أن يكون هناك بقرة؟ بل قبل أن تولد البقرة؟!

رابعا: النداء أحيا وجدد (مبدأ الصلح) في دين الاسلام، وهو مبدأ، بل منهج كامل تحمله عشرات النصوص في الكتاب والسنة. وكانت اماتة هذا المبدأ سببا رئيسا من أسباب الشقاق والتمزق في الأمة.. ولأجل القيمة العليا لمبدأ الصلح: رفع الله قدر (المصلحين) وأجزل لهم المثوبة: «والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين». فالداعي الى الصلح: إنما هو من (المصلحين) في الأمة والأرض ولا يفعل ذلك الا مستمسك بالكتاب، مقيم للصلاة.

هذا هو الدور (الطبيعي والطليعي) للسعودية.. ونحن نعلم انه دور مثقل بالمسؤوليات الجسام: السياسية والتاريخية، إذ هو دور يواجه (ارادات) معروفة: لا تريد للعرب والمسلمين: خيرا ولا وفاقا ولا تقدما. بيد ان للكبار أدوارا كبيرة تليق بقاماتهم ولا يستطيعون التراجع عنها.

ثم نحن نعلم ان هناك (مخذلين) كثرا: حسدا من عند أنفسهم، أو وفاء لأجندات خفية، أو استسلاما لياس قاتل.. من هنا يتعين على الفلسطينيين ـ لكي ينجحوا فيما دعوا اليه ـ ان يتحدوا على قاعدة اساسية منذ البدء وهي (الاجماع الوطني الصارم على وقف كل تدخل خارجي في شؤونهم البينية) سواء كان هذا التدخل اقليميا أو دوليا، أو عربيا، أو أعجميا، أمريكيا أو صهيونيا.